ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

اللغة العربية والأمن المجتمعي

ظاهرة التسامح في التراث العربي أنموذجا

أد أحمد عفيفي

أستاذ ورئيس قسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ملخص البحث

بدأ البحث بمقدمة أوضحت طبيعة التسامح، وأنه من القيم الأصيلة في ثقافتنا العربية، و كيف أن التسامح يؤدي إلى الأمن المجتمعي، كما طرح مجموعة من الأسئلة التي تؤكد مشروعية الاختلاف طريقا للبحث عن ثقافة التسامح، ثم تناول مجموعة من القضايا، منها : مفهوم التسامح ، سؤال هوية التسامح في الإطار التراثي العربي بشكل عام، وفي التراث اللغوي بشكل خاص، كما أوضح البحث: لماذا الحديث حول التسامح في التراث النحوي تحديدا ؟ وأظهر البحث كثيرا من النماذج الدالة على التسامح عند النحويين، متناولا طرق الاختلافات النحوية، ومحاور التسامح المتنوعة لدى النحاة، ثم تناول البحث أنواع التسامح في التراث النحوي، وهي أولا : تسامح اللغة مع نفسها ، ثانيا : تسامح النحاة مع مَن اختلفوا معهم، ثالثا : تسامح النحاة مع القواعد. وأوضح البحث مسوغات التسامح عند النحويين، وبين أثر ثقافة التسامح على اللغة و على المجتمع ، وكذلك أثر ثقافة التسامح على المشاعر الإنسانية ، كل ذلك جاء مدعوما بالشواهد والأمثلة الدالة ، وأخيرا كانت الخاتمة التي تبرز نتائج البحث.

مقدمة

في بيئتنا المعاصرة ما زال هناك غموض يكتنف كثيرا من المفاهيم لقضايا ينبغي أن تكون في دائرة الضوء و بؤرة الاهتمام؛ لأنها من صميم الثقافة العربية. من هذه القضايا (ثقافة التسامح) بما تعنيه هذه الثقافة من وعى و فكر ورؤية، وطريقة حوار ، و آداب و مشروعية للآخر في الاختلاف .....الخ

فقيمة التسامح من القيم الأصيلة في الثقافة العربية، ولا يمكن لأمة متحضرة أن ترتقي وهي غير مؤمنة بفضيلة التسامح، هذا التسامح الناتج عن منطقية الاختلاف في أغلب الأحوال، و لاشك أن الاختلاف قيمة مهمة من قيم الحياة ، وسنة من سنن الكون، ومن المفترض أن يمثل منظومة تساعد الناس على أن تتآلف وتتقارب ، تتناسق وتتناغم، لا تتنافر ولا تتعادى ، وهذا يؤدي إلى الأمن المجتمعي والسلام النفسي، فمنظومة الحياة الطبيعية قائمة على الاختلاف، فدورة الكون والوجود قائمة على مجموعة من صفات التناقض، ومن هنا كانت الظلمة والنور ، و الأبيض والأسود، الصغير والكبير ، الطويل والقصير ، القوى والضعيف، العالم والجاهل، ومع ذلك ينبغي ترسيخ مبدأ التسامح بين جميع البشر، بعيدا عن التعصب والعنف، وفرض الرأي بالقوة والإجبار .

المشكلة إذن ليست في الاختلاف، لأن الاختلاف طبيعة بشرية، بل المشكلة فيما يحدث من عنف أو تعصب أو توتر، أو التمسك بالرأي ،لو كان فاسدا " فالاختلاف سمة بشرية موجودة في كل زمان ومكان، لايقف على فئة معينة، ولا على أفراد محددين. وثقافة الاختلاف هي التي جددت الحياة الثقافية العربية دائما ،وبنية الاختلاف على هذا بنية إيجابية واعدة بالتنوع، وهي دليل ثراء المجتمع المنتج لتلك البنية، على ألا يكون الاختلاف (خلافا) ؛ لأن الخلاف يمثل نزعة شخصية لا موضوعية، وكلما اشتد سعير حمى الاختلاف ووهج التباين، ازداد جسد الثقافة صحة وبهاء وجمالاً 1

والمتأمل لهذه الظاهرة يستطيع أن يلمح عشرات الأسئلة حول قضية الاختلاف، تطل برأسها دائما ، تومض و تختفي وتتوسل بالمثقف العربي أن يصنع حولها حوارا جادا مفيدا لعل الجميع يستفيدون من طرحها ، ومن هذه الأسئلة:

هل الاختلاف ظاهرة صحية ؟هل هو حق مشروع للجميع ؟هل من حق أصحاب الرأي الادعاء بأن رأيهم حقيقة مطلقة، ولا تسامح مع الآخر فيما يؤمن به ؟وأن آراء غيرهم هي الباطل الذي لا مراء فيه ؟هل من حقي إلزام الآخرين برأيي قسرا ؟ثم ماذا لو كان رأيي مخالفا لرأي الجماعة؟ هل أظل متمسكا به، معاودا الكر و الفر لإلزام الجميع به ؟أم يكون من الأفضل أن أعاود التأمل في رأيي متسامحا ، فربما كنت أنا علي خطأ؟

و تأتي مشروعية الاختلاف في الأصل من الكتاب والسنة وأقوال السلف، ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى : " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين " [سورة هود الآية 117] وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " اختلاف أمتي رحمة " وورد عن عبد المؤمن الأنصاري قوله : قلت لأبي عبد الله أن قوما رووا أن رسول الله (ص) قال" إن اختلاف أمتي رحمة : فقال : صدقوا . ويقول الإمام أبو حنيفة : (قولنا هذا رأى ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا) هكذا كان يتسامح أبو حنيفة مع الآخر المختلف معه، وهو علم من أعلام الفقه، وهنا يجب أن نعرف أن التسامح صفة من صفات الأقوياء، فلا أظن ضعيفا متسامحا، ولا جاهلا متسامحا، فالتسامح زينة الفضائل ومطلب العقلاء .

التسامح أمان مجتمعي

لاشك أن التسامح مع النفس أو مع الآخر يصنع راحة نفسية ويجسد الأمان المجتمعي ، لأن الإنسان –إن كان متسامحا - يكون ذا مزاج معتدل، كما أنه يكون حريصا على تقبل الآخر ، مؤمنا بأهمية الاختلاف حسب طبيعة البشر ، وهذا يؤدي إلى الأمان النفسي وبالتالي الأمان المجتمعي، ومن المؤك أنه في هذه الحالة لايحمل حقدا ولا مشاعر عدائية للآخرين ، لأنه يؤمن أن الاختلاف سنة حياة .

مفهوم التسامح

تشكلت من مادة (س م ح) بعض المصطلحات ، مثل (التسامح – المسامحة – التسمح) فالتسامح هو السلاسة والسهولة، وهو مرادف للتساهل، كما يقول الفيروزآبادي 2 و في الصحاح 3: تسامحوا أي تساهلوا ، وفي لسان العرب 4 : وسمح وتسمّح فعل شيئا، فسهل له ، وهو الجود كما قال

ابن فارس 5 ، يقال: ورجل سمح أي جواد وقوم سمحاء ومساميح، وقد أشار ابن منظور أيضا إلى أن التسامح هو اللين في نحو قولنا : " أسمحت الدابة بعد استصعاب ، لانت وانقادت 6

ولا يبتعد مفهوم التسامح في العصر الحديث عما مضى من مفاهيم ، فهو عند الدكتور أحمد مختار عمر التساهل والتهاون والكرم 7، وهو أيضا عنده التوسع ، والتوسع هو استعمال اللفظ للدلالة على أكثر مما وضع له 8 ، و أضاف بعض النحاة أن الاتساع ضرب من الحذف ، وقاموا بالتدليل على أن الحذف هو اتساع في القاعدة 9 وهو تسمّح تستوعبه اللغة.

أما التساهل الذي أشار إليه الفيروزآبادي بأنه مرادف للتسامح، فإنما هو، كما أشار الشريف الجرجاني يكون في طريقة آداء اللفظ، بحيث لايدل على المراد دلالة صريحة 10 ، وقد أشار الكفوي إلى أن التساهل يستعمل في كلام لاخطأ فيه ، ولكنه يحتاج إلى نوع توجيه تحتمله العبارة 11 فالاتساع إذن ليس تهاونا في القاعدة، ولكنه يعتمد على التأويل ، فإذا وُجد وجه من التأويل، فيجاز الوجه تسامحا مع القاعدة ، سعة وترخصا ، وليس الأمر مبنيا على ظاهر العبارة ، ولكن الأمر يتوقف على المعنى العميق بحثا عما يتجاوز الظاهر.

ومن هنا نجد معاني التسامح كثيرة متنوعة ، منها : التساهل – الحلم – الصفح – العفو – اللين - الجود – الاتساع ... إلخ .

والتسامح بمعناه الأخلاقي عند الفلاسفةهو : موقف فكري وعملي، يقضي بتقبل المواقف الفكرية والعلمية التي تصدرمن الغير ، أي أنه احترام المواقف المخالفة 12 كما أنه " العفو عند المقدرة؛ وعدم رد الإساءة بالإساءة؛ والترفع عن الصغائر؛ والسمو بالنفس إلى مرتبة أخلاقية عالية؛ فهو مفهوم أخلاقي اجتماعي؛ دعا إليه كافة الرسل والأنبياء والمصلحين؛ لما له من أهمية كبرى في تحقيق وحدة وتماسك المجتمعات؛ والقضاء على الخلافات بين الأفراد والجماعات، والتسامح يعني احترام ثقافة وعقيدة وقيم الآخرين، وهو ركيزة أساسية للعدل والحريات الإنسانية العامة " 13

ويمكن أن يكون التسامح نوعا من المروءة، ويظهر ذلك في كلام الشاعر أحمد شوقي حين يقول :

تسامحُ النفس معنىً من مروءتها ..... بل المروءةُ في أسمى معانيها

تخلقِ الصفحَ تسعدْ في الحياةِ به ... فالنفسُ يسِعدُها خلقٌ ويشقيها

سؤال التسامح في التراثي العربي

في البداية لابد أن نتساءل عن وجود ثقافة التسامح في الحضارة العربية الإسلامية ، قبل أن ندلف إلى البحث عنه في التراث النحوي بشكل خاص ، وهنا كان السؤال : هل عُرف التسامح في التراث الحضاري العربي أم أنه كان غائبا ؟ وللإجابة عن هذا السؤال باختصار شديد سنعرض رأيين متعارضين : الأول يشير بعدم وجود التسامح في التراث الحضاري العربي ، والثاني يؤكد وجوده ، يشير محمد أركون المفكر الجزائري أن التسامح لايوجد في التراث الحضاري العربي، وأن العرب لم تعرف التسامح، فيقول

، وهو يتناول مسألة التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي ، في محاضرة له ألقاها في ندوة قرطاج بتونس حول التسامح : " التسامح لم يعرفه السياق الإسلامي تاريخيا" ، وغياب التسامح عنده ليس خاصا بالتراث الإسلامي ، بل يشترك فيه مع فكر العصر الوسيط " 14 وهنا نرى الرأي واضحا يشير إلى عدم وجود تسامح مطلقا في التراث الإسلامي.

أما الرأي الآخر، فقد خالف هذا الرأي القائل بغياب التسامح، وأكد وجود التسامح في التراث الإسلامي، حيث يشير المفكر المغربي محمد عابد الجابري إلى أن التجليات الأولى للتسامح توجد لدى الجيل الأول من "المثقفين في الإسلام ويعني بهم ما عرف في كتب الفرق الكلامية" بالمرجئة والقدرية "الذين كانت أفكارهم تدور حول محورين رئيسيين: التسامح من جهة، والتأكيد على حرية الإنسان من جهة أخرى 15

ومن هنا يجد الجابري ضالته عن التسامح في مفهومي الاجتهاد والعدل، حيث ورد توظيفهما عند المعتزلة وابن رشد، وخاصة ابن رشد الذي يعتبره الجابري صوتا متميزا في هذا المجال، بما سجله من ملاحظات وانتقادات على أبو حامد الغزالي الذي لم يكن متسامحا مع مخالفيه في المذاهب الأخرى.، ويضيف الجابري أن من بين الأسماء المتسامحة ضمن هذا الاتجاه أبا حنيفة الذي نقل عنه قوله: "لا نكفر أحدا بذنب ولا ننفي أحدا من الإيمان". ويعلق الجابري على هذا الموقف بقوله: "من هذا المنطلق إذن راح الجيل الأول من المثقفين في الحضارة العربية الإسلامية يدافعون عن مفهوم الإيمان القائم على الاعتدال والتسامح ، وهكذا ينتهي الجابري إلى إعادة بناء مفهوم التسامح بالصورة التي تجعله يعبر داخل الثقافة العربية عن المعنى الذي أعطي له داخل الفكر الأوربي 16

وهكذا اختلف الرأي حول وجود ثقافة التسامح في الفكر الحضاري العربي الإسلامي مابين مؤيد ومعارض ، فمن يبحث عنه من وجهة نظر أجنبية لايجده بالمعنى المباشر ، ومن يبحث عنه من وجهة نظر عربية أو وسطية يجده عند بعض المفكرين العرب ، ونحن هنا نشير إلى وجوده في التراث العربي عند الفلاسفة و المفكرين في التخصصات المختلفة ، وليس بالضرورة أن نجده عند الجميع ، فالناس تختلف مشاربهم و ثقافتهم ، وتختلف أيضا مفاهيمهم حول التسامح ، ومن هنا يأتي الاختلاف ، ولن أطيل في هذا الأمر ، فسنحاول أن نجده في التراث اللغوي تحديدا ، وبالأخص التراث النحوي ، لنسأل أنفسنا هل كان النحويون القدامى متسامحين، وما مظاهر التسامح عندهم ، وهل وجد اللفظ تحديدا، أو وجد مايدل عليه في تراثهم؟ .

لماذا الحديث حول التسامح في التراث اللغوي عموما و النحوي خصوصا ؟

يعد علم النحو فى الثقافة العربية من أشرف علومها و أجلها، وهو أكثر مانحتاج إليه من العلوم العربية، فهو الطريق الصحيح إلى فهم كتاب الله المجيد، وفهم الأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك فهم الشعر العربى الذى يعد من أهم فروع الثقافة العربية ، وبشكل عام فإن النحو يمثل طريقا لفهم التراث العربى والإنسانى فى البيئة العربية .

وإذا كان النحو زينة العربية وثقافتها تواصلا وفهما ، فإن النحاة يمثلون الأداة الفاعلة لهذا التواصل الحضارى بين الناطقين بلغة الضاد أبناء هذه الثقافة الرفيعة، فالنحاة إذن يمثلون شريحة مهمة فى التراث العربى بثقافتهم اللغوية المفيدة، يظهر ذلك فى مناقشتهم لقضاياهم ووعيهم لأقوالهم مع تقديم الأدلة والحجج والبراهين للمسائل التى يتناولونها، ولعل الخلاف الظاهر فى حواراتهم دليل على تلك الثقافة الواعية العميقة، وكذلك أسلوبهم فى التعامل مع القضايا الخلافية ، مما يدل على أدبهم ورقيهم

وتسامحهم في مناقشاتهم ، فقد كان أسلوبهم مهذبا غير جارح مع اختلافهم الشديد الوضوح، وذلك على العكس مما نجده في هذه الأيام عندما يختلف الناس – العلماء وغيرهم - حول قضية معينة ، فإن الإساءة تكون هي الأبرز، كما نجد التجريح والتشهير ووصف الآخر بالجهل وضيق الأفق، والتعسف ..... الخ، فالواقع الآن مختلف اختلافا كبيرا عما كان موجودا في التراث العربي .

لقد تغيرت المفاهيم الأساسية لثقافة الاختلاف في العصر الحديث، وانعدم التسامح، وصار الموقف إما أن تكون معي أو ضدي، ولا يوجد خيار ثالث، وهو منطق عصر العولمة الجديد، فضاعت مفاهيم ثقافتنا العربية حول الاختلاف وآدابه أمام هذا الطغيان الفكري الكاسح لبيئتنا العربية، فقديما كان اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، واليوم صار الاختلاف عداءً سافرا لكل من في حلبة السباق، ولعل هذه الثقافة الحديثة هي التي جعلتنا نبحث عن التسامح في ثقافتنا التراثية اللغوية، لنلوذ بها ونستدعي تاريخنا العريق في وجه عدوانية العصر الحديث .

ويظل السؤال قائما : لم اختص التراث النحوي بهذه الدراسة ؟ لعلنا جميعا نعرف أن كثيرا من القواعد النحوية في العربية دائما مثار اختلاف، بين رفض القاعدة أو قبولها أو التوسط بين القبول والرفض، ومن هنا وجدنا كثيرا من المدارس النحوية، منها: المدرسة البصرية والكوفية والبغدادية والأندلسية والمصرية، وأضاف البعض مدرسة القيروان والمدرسة الأفريقية، 17 ولكل مدرسة أساتذتها وطلابها ومريدوها ، وأحيانا بعض المنتسبين إلى مدرسة يؤمنون بما قيل في المدارس الأخرى، ومن هنا كثر الخلاف في الدرس النحوي، ولكن الاتجاه العام في النقاش لم يكن ليصل إلى حد السب أو الوصف بألفاظ نابية أو مثيرة، إلا القليل النادر، ومن أجل ذلك نعد النحويين متسامحين دائما مع مخالفيهم من الأفراد أو متسامحين مع قاعدة نحوية لايؤمنون بها، ولايقرون بوجودها إلا على سبيل التأويل، وقد ورد لفظ التسامح كثيرا في كتب النحاة مما يؤكد وجود هذه الظاهرة، ومن أهم هذه النماذج التي تشير إلى المسامحات النحوية ، مع تأكيد النحاة أنها عادة من عادات العرب مايلي :

1-ورد اللفظ عند ابن ولاد التميمي في كتابه : الانتصار لسيبويه على المبرد ، حيث ناقش الحروف الذي يمكن أن ترفع الأسماء والأخبار في باب يحمل هذا العنوان ثم قال : " فأما معنى قوله : رفعت بما نصبت به ، فإنما أراد رفعت مع الكلمة التي نصبت بها، وهذا تسمح يقع في اللفظ مما يجوز للقائل أن يقوله " 18

2-في شرح كتاب سيبويه للسيرافي قال تعقيبا على رأي من آراء سيبويه :" وهذا من سيبويه مسامحة في اللفظ واتساع 19

3- وقد قال ابن جني عن سيبويه :" على أن سيبويه قد تسمّح في بعض ألفاظه في الكتاب " 20 وفي المنصف قال ابن جني :" ..... ولكنه تسامحَ في اللفظ وهو من عادة أهل العربية ، ولهم أشياء كثيرة تحمل على المسامحة " 21

4- وفي درة الغواص يشير إلى أن التجوز والتسامح باب واسع في العربية 22

ولعل ظهور هذا اللفظ بهذه الغزارة يؤكد أن " التسمّح في عبارات المصنفين ظاهرة قديمة في التراث النحوي ، وأن المتقدمين لاحظوا بعض تطبيقاتها في مصنفات بعضهم ، فتمسك بعضهم بظاهر العبارة

، فحمله ذلك على الاعتراض عليها ، والرد على صاحبها ، على حين كشف آخرون عن مسوغ لهذا التسامح" 23

وبتأمل ماجاء من قبيل ظاهرة التسامح عند النحاة ، فإننا نجد تنويعات في الرد على مخالفيهم بالحكم على الرأي قبولا أو رفضا، متخذين عدة طرق للحوار مع مخالفيهم دون إساءة ، ومن هذه الطرق مايلي:

1-يحكمون برفض الرأي و عدم قبوله، دون مساس بالشخص نفسه.

2- يحكمون على الرأي أو الحكم النحوي وعلى الشخص نفسه في إطار المسألة الواحدة دون إساءة.

3- يناقشون ويوضحون رأيهم، ثم يحكمون على النحوي بأحكام تعد متسامحة ، نظرا لطبيعة الخلاف الواضح بين الرأيين، و يلتمسون العذر لبعضهم البعض في كثير من الأحوال، ويعد هذا تنوعا واضحا في طرق الخلاف النحوي.

ومن النموذج الأول ، وهو الحكم على الرأي المخالف، دون مساس بالنحوي نفسه، حيث نرى الحكم على الفكرة بالقبول أو الرفض دون الحكم على قائلها ، وقد تمثل ذلك في كثير من المواطن ، من أهمها ما قاله ابن هشام عند حديثه عن جر الاسم الواقع بعد (ماخلا) فنجده يقول : " وزعم الجرمي والربعي والكسائي والفارسي وابن جني أنه يجوز الجر على تقدير ما الزائدة ، فإن قالوا بالقياس ففاسد، لأن ما لاتزاد قبل الجار والمجرور ، بل بعده ، نحو قوله تعالى " عما قليل " [سورة المؤمنون الآية 40] " فبما رحمة من الله ..." [سورة آل عمران الآية 159] وإن قالوا من السماع فهو من الشذوذ لايقاس عليه " 24 والملاحظ أنه يتكلم عن مجموعة من كبار النحاة ، فلم يتطاول عليهم مع الاختلاف الواضح عنهم في الرأي، ولكنه حكم فقط ، وإن كان لفظ الزعم يمكن أن يكون له دلالة سلبية ، حيث تأتي بعض دلالاته أنه القول الباطل أو القول المشكوك فيه ، ولكن له دلالات أخرى سأظهرها للدلالة على أن اللفظ عند ابن هشام لايقصد الجانب السلبي من الدلالة فيما يلي:

للفظ (زعم) دلالات متنوعة، أولها : أن لفظ زعم يعني القول المطلق دون تلميح إلى دلالة الاعتقاد الباطل ، فقد ورد في لغة العرب مايلي :

1- أنه بمعنى القول والتحقيق 25 وهذا ماورد في قول بعضهم خطابا للنبي " أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا" [الإسراء : 92] ، إشارة إلى قوله تعالى - " إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ " [سبأ : 9] والمعنى كما قلت لنا .

ومن نماذج هذه الدلالة، قول ابن هشام السابق في مغني اللبيب ، وأيضا قول سيبويه:" زعم يُونُس أنَّ أبا عمرو كان يقولُ: داري مِنْ خَلْفِ دارِكَ فرسخانِ، فَشَبَّهَهُ بقولك: دارُكَ مني فرسخانِ؛ لأنّ (خَلْفَ) هاهُنا اسْمٌ، وجعل(مِنْ) فيها بمنزلتها في الاسم. وهذا مذهبٌ قويٌّ. وأما العربُ فتجعلُه بمنزلة قولك: خَلْفَ، فَتَنْصِبُ وترفعُ، لأنك تقولُ: أَنْتَ مِنْ خلفي، ومعناه : أنت خَلْفي، ولكنّ الكلامَ حذْفٌ، أَلَا ترى أنك تقولُ:دارُك من خَلْفِ دارِي، فيستغني الكلامُ" 26 ولعل موافقة سيبويه على رأي يونس

ووصفه بالمذهب القوي يؤكد أن كلمة زعم في قوله " زعم يونس " إنما هي من قبيل القول، دون تلميح أو تصريح بأنه قول باطل.

2- أن لفظ زعم يأتي بمعنى الكفيل أو الضامن ، كما في قوله تعالى : " سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ " [القلم 40] ففي تفسير الطبري " زعيم يعني كفيل به، والزعيم عند العرب الضامن والمتكلم عن القوم. 27

3- -علاوة على ذلك فإن من معاني الزعم: القول الباطل ، وهو القول دون حجة أو دليل ، و هو الاعتقاد الباطل أيضا، وهذا مانجده في إشارات بعض المعاجم 28 وعليه تكررت الكلمة في القرآن الكريم في أربع عشرة آية بهذا المعنى في معظمها، حيث جاءت بمعنى الاعتقاد غير المستند إلى أساس محكم ، أوهو اعتقاد لا يبنى على أساس موثّق.

وهناك دلالات أخرى تعني الاعتقاد و التحقيق والإمارة .... إلخ ، غير أن الأكثر شهرة أنها تأتي بمعنى القول أو الاعتقاد بدون حجة أو برهان، لكن المتأمل في ورود الآيات أو السياقات المتنوعة للفظ يتأكد أن حقيقة مفهوم زعم هو الاعتقاد الخاصّ ، وأمّا مفاهيم الشكّ والظنّ والقول والكذب والبطلان وغيرها فليست من الأصل. 29

وعلى هذا نستطيع أن ننظر في توظيف هذا اللفظ عند النحويين ، لنجده يمثل كثيرا من المعاني المشار إليها سابقا ، غير أن الأكثر استخداما عند النحويين هو أن اللفظ يأتي بمعنى القول فقط ، دون تلميح أو إشارة إلى البطلان أو الكذب أو الشك .

فقد ورد اللفظ عند سيويه كثيرا في الكتاب، بل ومن المؤكد أن نحويا عندما يستخدم الزعم، وينسبه إلى نفسه فإنه حينئذ يقصد القول والتحقيق ، وقد فعل ابن مالك ذلك عندما كان يتكلم عن ناصب المستثنى ، فقد ذكر رأيه في المسألة، ثم قال : " وزعمت أني في ذلك موافق لسيوبه وللمبرد وللجرجاني 30 "

وهنا نجد توظيف لفظ الزعم كثيرا مع بعض النحويين الذين يحترمون أساتذتهم، بل ويؤمنون بآرائهم مع نسبة الزعم لهم .

أنواع التسامح في التراث النحوي

بتأمل ماجاء في التراث اللغوي بشكل عام، والتراث النحوي بشكل خاص ،فإننا نستطيع رصد أنواع التسامح كما يلي :

أولا : تسامح اللغة مع نفسها . ثانيا : تسامح النحاة مع مَن اختلفوا معهم .

ثالثا : تسامح النحاة مع القواعد.

وفيما يلي نوضح الأمر بمزيد من التفصيل.

أولا: تسامح اللغة مع نفسها

تتسامح اللغة العربية مع نفسها قاعديا أو دلاليا ، فتُشيع نوعا من التسامح العام، ويتمثل هذا النوع من التسامح في صور كثيرة منها :

1- التسامح المذهبي

أقصد هنا المذاهب النحوية، فاللغة العربية لغة مرنة متسقة متسامحة مع ثقافة مستخدميها واختلافاتهم، ولعل وجود مدارس نحوية متنوعة: البصرية والكوفية والبغدادية والأندلسية والمصرية، و مدرسة القيروان والمدرسة الأفريقية - يمثل نوعا من التسامح اللغوي، فاللغة تستوعب كل الآراء ولاتخطّئ أحدا منهم، ويعد هذا نوعا من التسامح اللغوي، مما جعل أحد الباحثين يقول عن اختلاف مدرستي البصرة والكوفة ،وأنه كان" من أجل إكمال صرح النحو والصرف وتيسير النحو وقواعده، وكذلك زيادة بعض التراكيب والأدوات والوجوه الإعرابية، إلى جانب تدريب الطلاب على احترام اختلاف وجهات النظر" 31

2 -التسامح في استخدام الجمل والتراكيب

ويعد هذا من تسامح اللغة مع نفسها ، حيث تبيح القواعد أكثر من طريقة بشكل قاعدي ، ومن مظاهر تسامح اللغة مع قواعدها مايحدث في الجملة أو التركيب، حين نجد تسامح القاعدة النحوية، مع كثير من مظاهر العدول عن الأصل، حيث أباح النحويون ذلك ، و هذا نوع من التسامح ، ومن الصور الدالة على هذا التسامح مايلي:

أ- التقديم والتأخير في عناصر الجملة، عدولا عن أصل الترتيب.

ب- حذف بعض عناصر الجملة مع مراعاة المعني، ربما لعدم التكرار ، أو لوضوح الدلالة مع الحذف، فاللغة العربية لغة تخفيف.

ج- حدوث بعض العدول عن الأصل في التراكيب والجمل، لوجود مسوغات نحوية ، مثل وقوع المبتدأ نكرة ، ووقوع صاحب الحال نكرة.

3 : التسامح الصرفي

يمثل التسامح الصرفي نموذجا لغويا دالا على طبيعة اللغة العربية ، تتنوع نماذجه وتتوزع على كثير من أبواب الصرف العربي ، ومن صور هذا التسامح :

أ- نجد كثيرا من الألفاظ يحدث بها قلب مكاني مثل : جذب وجبذ بمعنى واحد ، وأيس ويئس، ناء ونأى ، جاه ووجه.

ب- مانجده في الإعلال والإبدال ، فكثير من الحالات فيهما يأتي هروبا من الثقل ، كاجتماع همزتين ، او اجتماع واو وياء ، أو اجتماع حرفين متقاربي المخرج .

وهناك كثير من الصور اللغوية الأخرى منها :

أ- التسامح بوجود معنيين متناقضين لكلمة واحدة .

فنحن نطلق على الليل والنهار ألفاظا كثيرة منها : الملوان- الجديدان –الطريدان – الأصرمان - ..... إلخ ، ونطلق على الشخصين اسما واحدا يعرفان به من باب التغليب كما نقول : العمران (عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق) وكذلك نقول: القمران على (الشمس والقمر)، والأبوان على (الأب والأم) .. إلخ ، وهذا تسامح رائع من اللغة فالشيئان مختلفان ، ومع ذلك يطلق عليهما لفظ واحد.

ب- تسامح الفصحى مع اللهجات

من المعروف أن اللهجات في التراث العربي عاشت جنبا إلى جنب مع الفصحى التي تجسدت في تلك الفترة من التاريخ اللغوي، فوجدنا لهجة قريش وتميم وعقيل وطيء .... وغير ذلك من اللهجات، ولم ترفض الفصحى ذلك، فقد أثرت الفصحى اللهجات وتسامحت في الموافقة على استخدامها دون تخطئة، فوجدنا كثيرا من اللهجات مستمدة من الإطار الفصيح، أو هي الفصيح نفسه .

ثانيا : تسامح النحاة مع مَن اختلفوا معهم

من المعروف أن النحاة كانوا شديدي الاختلاف في كثير من المسائل النحوية ، وأكاد أقول بأنه لاتوجد مسألة واحدة لم يُختلف حولها في النحو العربي . وعندما نتابع عناوين كتب النحاة التي تم رصدها حول الخلافات النحوية المتنوعة في التراث النحوي ، نرى مدى تسامح النحاة مع المخالفين في الرد عليهم، أو التسامح في الحكم على الرأي في المسائل الخلافية ، وعدم المغالاة في اختيار عناوين الكتب التي تحمل الردود العلمية الفاصلة للرد عليهم مع شدة الخلاف ، وسنعرض فيما يلي أهم العناوين التي جسدت قضية الخلاف النحوي في التراث العربي في أقوى صوره وأشد حالاته اختلافا، و تتمثل هذه العناوين فيما يلي :

1- (الأجوبة) ومن ذلك رسالة بعنوان: " في أجوبة السمين على اعتراضات أبي حيان على مواضع في الكشاف" المؤلف قنالي زادة
2- (الاختيار) ومن ذلك كتاب ابن درستويه: " التوسط بين الأخفش وثعلب في معاني القرآن واختيار ابن درستويه "
3- (الاعتراضات) ومن ذلك كتاب : " اعتراضات جمال الدين الأقسرابي على القطب الرازي على المواضع المشكلة في الكشاف "
4- (الإفصاح)ومن ذلك كتاب: " الإفصاح ببعض ماجاء من الخطأ في الإيضاح " لابن الطراوة النحوي.
5- (الانتصار) ومن ذلك كتاب ابن ولاد " الانتصار لسيبويه من المبرد " وكذلك كتاب " اعتراضات الرندي على ابن خروف انتصارا للسهيلي"
6- (الإنصاف) ومن ذلك كتاب : " الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري " وكتاب : "الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف " لابن الأثير الجزري .
7- (الرد) ومن ذلك كتاب " الرد على أبي حيان في تعقيباته على ابن مالك " لعلي بن يوسف الأنباري ، وكتاب " رد اعتراضات ابن الطراوة على الفارسي " لابن الضائع
8- (القضاء) ومن ذلك كتاب :" رسالة القضاء بين سيبويه والكسائي " للأعلم الشنتمري.
9- (النصرة) ومن ذلك كتاب: " النصرة لسيبويه على جماعة النحويين " لابن درستويه 32

ومن الملاحظ أن هذه الكتب ، وإن كانت تحتوي على محاكمات النحاة لآخرين منهم ، وبعض هذه المحاكمات حاد للغاية ، إلا أنها لم تحمل اللفظ المسيء في عناوينها ، فكلها ألفاظ تشي ولا تصرح ، لهذا وجدنا ألفاظا مثل : الأجوبة والاختيار والاعتراضات والإفصاح والإنصاف والرد والقضاء والنصرة ، وهذا دليل على أدب الاختلاف مع الآخر لدي النحاة القدامى، ودليل على التسامح مع وجود هذه الاختلافات الحادة ، التي كانت تستدعي الحدة في العناوين ، ولم يرد لفظ المحاكمات في عناوين كتبهم إلا في ثلاثة مواضع – على حد علمي _ كما في كتاب ": المحاكمات بين القاضي وصاحب الكشاف لابن المعيد، وكتاب: " المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري " للشاوي، وكتاب " المحاكمات في أجوبة الاعتراضات – محاكمات على الكشاف " لعبد الكريم بن عبد الجبار 33 ، ولعل هذه العناوين الثلاثة، وإن كانت تحمل لفظ المحاكمات مباشرة إلا أنها تشي بالفصل في الخلاف وإبداء الرأي في المسائل الخلافية ، لا تعني المحاكمات بدلالتها المعروفة .

والغريب في الأمر أننا عندما ننتقل إلى العصر الحديث، نرى أحدهم يؤلف كتابا بعنوان : [لتحيا اللغة العربية – يسقط سيبويه] 34 فالمؤلف – كما نرى - يدعو إلى سقوط سيبويه، مع أن كتاب سيبويه هو الذي أسس للنحو العربي ، وبالتأمل لم نجد في التراث النحوي كله دعوة لسقوط الخصم، حتى لو كان أصغر النحاة، فدل على أن النحاة القدامى كانوا أكثر تسامحا ، وأكثر هدوءا وأقل انفعالا من مؤلف الكتاب الذي اعترف صراحة في الكتاب 35 بأنه ليس متخصصا في اللغة العربية، وليس نحويا بالمعنى الدقيق، فما بالنا لو كان نحويا متخصصا.

ثالثا : تسامح النحاة مع القواعد

يمثل التسامح عند النحويين العرب استراتيجية مهمة من استراتيجيات الدرس النحوي، ونستطيع حصر مظاهر التسامح فيما يلي :

1-التسامح في تفسير آراء الآخرين عند الخروج عن القاعدة النحوية ، مع محاولة إيجاد تفسير لهذا الخروج.

2-التسامح في الرد عليهم، دون تجريح وعدم نعتهم بما يسوء.

3 - التسامح مع اللغة نفسها ، بحيث يجيزون وجوها أخرى للتعبيرات والجمل

وفيما يلي نقدم نماذج لهذه المظاهر :

1- ومن نماذج التسامح في تفسير رأي الآخر وإيجاد مبرر للخروج من أزمة الاختلاف ، ماورد عند الشاطبي في تعليقه على ابن مالك عندما استخدم ابن مالك مصطلحي الصرف والتصريف في قوله :

حرف وشبهه من الصرف بري وما سواهما بتصريف حري 36

قال الشاطبي تعليقا على كلام ابن مالك : " والظاهر أنه أراد بهما (أي المصطلحين) شيئا واحدا ، بل لاشك في هذا ، واللفظ المصطلح عليه إنما هو التصريف لا الصرف ، فاستعماله لفظ الصرف تسامح اعتبارا بأصل المعنى ، لأن صرّف الذي مصدره التصريف مبالغة في صرَف الذي مصدره الصرف" 37 .

2-التسامح في الرد على النحاة دون تجريح، وعدم نعتهم بما يسوء

كان معظم النحاة متسامحين في ردودهم على مخالفيهم، مع الحرص التام على عدم نعت الآخرين بما يسوؤهم، ومثال ذلك ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف الذي لم يكن متعصبا ، فلم يضبط متلبسا بالتعصب، ولو لمرة واحدة ، مع أن كتابه كان مقتصرا على مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، إلا أنه كان متسامحا مع الآراء المخالفة له ، فقد وضع لنفسه استراتيجية للتعامل، حين قال في مقدمة الإنصاف :" واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف مستجيرا بالله " 38 ومن الملاحظ أن الكتاب كاملا عن مسائل الخلاف، ولم ينزلق ابن الأنباري إلى تسفيه آراء الآخرين، مع أنه كان يميل إلى المذهب البصري، ولم يكن متوافقا مع الكوفيين إلا في سبع مسائل في الكتاب، وفي أحيان لانجده مع أولاء ولا هؤلاء ، ولكنه لم يسيء إلى أحد، وكانت مناقشاته تميل إلى الهدوء وإبراز الحجج والأدلة، دون تسفيه الرأي الآخر، وكان من الممكن أن نجده متعصبا غير متسامح ضد المذهب البصري 39 أو الكوفي عندما لايميل إلى أي منهما ، و لكنه لم يكن كذلك على الإطلاق ، ومن هنا فلسنا مع من ذهب إلى أنه كان متعصبا للمذهب البصري ولعل رد محمد عبد الخالق عضيمة هو أبلغ رد ، حين قال " إن صاحب الإنصاف أفصح بيانا وأوضح برهانا " 40 فلم يكن تعصبا بقدر ماكان ميلا إلى البصريين، إيمانا منه ببعض آرائهم المدعومة بالحجج والبراهين.

3 - التسامح مع اللغة نفسها ، بحيث يجيزون وجوها أخرى للتعبيرات والجمل

يستطيع المتأمل في التراث النحوي تأكيد وجود ظاهرة التسامح في أبواب نحوية كثيرة، لتصير نوعا من التوسعة والترخص في استخدام اللغة، وهذه المسامحات النحوية تدل على اتساع أفق النحاة في مواقفهم غير المتشددة ، كما تدل على أنهم كانوا حريصين على توجيه المتلقي لإمكانية استخدام بعض الصور التي ظن البعض خطأ استخدامها ، ومن هنا فالحكم بالتسامح على بعض الصور أو التعريفات أو التراكيب يجيز للمتكلم استخدامها دون حرج ، وقد قسمت تسامح النحويين مع القاعدة إلى محاور ممثلة فيما يلي :"

أولا -التسامح في التعريفات ثانيا -التسامح في الإعراب

ثالثا : التسامح في عدم توفر الشروط لتحقيق القاعدة

وفيما يلي سنذكر نموذجا أو اثنين فقط لكل محور من المحاور ؛ لإثبات الظاهرة عند النحاة، ولتأكيد تسامح النحويين في الخروج عن القاعدة ، إذا لم يكن الخروج عن القاعدة مؤديا إلى خطأ ترفضه اللغة .

أولا - التسامح في التعريفات : ومن نماذج ذلك ماجاء في تعريف الاسم ، حيث عرفه بعض النحاة بأنه ماجاز أن يكون فاعلا أو مفعولا، أو دخل عليه حرف من حروف الخفض 42 لكن السهيلي أشار إلى مافي هذا التعريف من تسامح في العبارة إذ إن الذي يكون فاعلا أو مفعولا في الحقيقة إنما هو المسمّى دون الاسم قائلا :" :" إن كان أراد بالاسم اللفظ الدال على مسمى فظاهر عبارته أيضا الفساد ، لأن الذي يكون فاعلا أو مفعولا في الحقيقة إنما هو المسمى دون الاسم ، والعذر له - رحمه الله – أنه

تسامح إرادة التقريب " 43 ، وهذا مثال مهم جدا للتسامح لدى النحاة ولتلمس العذر للآخرين وللدعوة لهم بالرحمة ، يدل عليه قول السهيلي السابق، تعليقا على تعريف الزجاجي ، والملاحظ أنه التمس العذر له، وفهم قول الزجاجي على أنه تسامح لإرادة التقريب للمتعلمين ، بل ودعا له .

ومثال آخر ورد في سياق تعريف التنوين (الصرف) عند ابن مالك عندما قال :

الصرف تنوين أتى مبينا معنى به يكون الاسم أمكنا

أشار ابن الناظم إلى تعريف والده بأن فيه مسامحة، يقول :" وفي هذا التعريف مسامحة ، فإن من جملة ما لا يدخله التنوين الدال على الأمكنية باب (مسلمات) قبل التسمية به ، وليس من الممكن أن يقال : إنه غير منصرف " 44

ثانيا :التسامح في الإعراب

من المعروف أن اسم لا النافية للجنس المفرد، يكون مبنيا على ماينصب به يقول ابن كيسان : " والنكرة تنصب بلا تنوين ، كقولك : لارجل في الدار ، إذ تسامح في قوله : تنصب ، والمراد تبنى على الفتح بلا تنوين 45

ثالثا : التسامح في عدم توفر الشروط لتحقيق قاعدة ما

ورد عند المازني 46 : قوله :" واعلم أن المصدر إذا كان (فِعلة) فالهاء لازمة له " وعلق ابن جني على عبارة المازني قائلا : " لو قال مكان هذا : واعلم أن المصدر إذا كان على ثلاثة أحرف، وفاؤه مكسورة، وعينه ساكنة، فالهاء لازمة له – لكان أحسن في العبارة ، ولكنه تسامح في اللفظ، وهو من عادة أهل العربية، ولهم أشياء كثيرة تحمل على المسامحة، ولكنهم يفعلون هذا لأن أغراضهم مفهومة " 47

رابعا : التسامح في إيراد اللفظ على صورة غير موجودة

أحيانا يشير النحوي في مسألة ما على جواز وجه آخر على سبيل المسامحة ، دون أن يكون موافقا على هذا الوجه الذي تسامحوا فيه ، مع الاعتراف بأنه جاز على سبيل المسامحة ، ومن هذا القبيل ماجاء عن اقتران كل وبعض ب (أل) يقول الزجاجي : " وإنما قلنا :البعض والكل مجازا وعلى استعمال الجماعة له مسامحة ، وهو في الحقيقة غير جائز " مع أنه استخدمه 48

وهذا مادعا دعا ابن هشام في كتابه قطر الندى أن يعلل استخدامه مصطلح : (بدل كل من كل) دون إدخال أل قائلا :" وإنما لم أقل : (بدل الكل من الكل) حذرا من مذهب من لايجيز إدخال أل على كل، وقد استعمله الزجاجي في جمله، واعتذر عنه بأنه تسامح فيه موافقة الناس " 49

وهناك صور أخرى تعد من قبيل التسامح، دون أن ينص عليها النحويون بشكل مباشر على حد علمي، ويمكن للباحثين أن يجدوا في الكشف عن تصريحات النحاة في مثل هذه المسائل ،و تلك المسائل هي :

3- التسامح في الاصطلاحات 5-التسامح في الترتيب 6 -التسامح في الاستشهاد والتمثيل

ولنتأمل فيما يلي مصطلحات النحاة الدالة على الرضا عن بعض الآراء ، فنجد كثيرا من الألفاظ الدالة على الاستحسان، حتى لو كان لهم آراء أخرى مخالفة، لهذا وجدنا مصطلحات مثل – حسنٌ – مستحسن – حسنَ – يحسن - استحسن –يستحسن وقد كثرت هذه المصطلحات كثرة ملحوظة فوجدنا كلمة (حسنٌ) متكررة كثيرا 50 ، وكذلك وجدنا لفظ (مستحسن) 51 وأيضا لفظ (حسُنَ) 52 وأيضا وجدنا لفظي : (استحسن - يستحسن) 53 ، كما ورد لفظ يحسن 54 .

والملاحظ أن النحاة عندما يقبحون رأيا لا يتطرقون لوصف الرأي أو صاحبه بالجهل أو لفظ حاد، وإن كان ذلك قليلا جدا، فيقولون فيه قبح ، أو قبّح أو يقبح أو استقبحوا ، وذلك مانجده في بعض المراجع والمصادر من كتب النحو 55 ومن أمثلة ذلك عندما تكون المسألة خارجة عن القياس خروجا غير مبرر مطلقا ، كما نجد في المثال التالي : في مسألة إضافة العدد واختلاف النحويين فيه، يقول المبرد : " اعلم أن قوما يقولون : أخذت الثلاثة الدراهم يافتى، وأخذت الخمسة عشرة الدرهم ، وبعضهم يقول : أخذت الخمسة العشر الدرهم ، وأخذت العشرين الدرهم التي تعرف ، وهذا كله خطأ فاحش " 56 واستمر في الكلام عن هذه المسألة، فأشار إلى رفضه هذه الإضافة بأساليب متنوعة مثل : هذا محال في كل وجه – فهذا أقبح وأشنع –فيستحيل من هذا الوجه – فيستحيل من وجه ثالث – ففساد هذا بين ....إلخ 57 وقد برر المبرد أحكامه بأن ذلك مخالف للقياس والقياس حاكم، كما أنه مخالف للإجماع النحوي ، والإجماع حجة ، وأن الرواية عن العرب الفصحاء خلاف ذلك والرواية بالرواية، ولم يحكم المبرد على النحاة القائلين بذلك بأي حكم ، بل حكم على آرائهم مع التبرير الدقيق .

وإذا وجدنا حدة في رأى بعض النحاة أو المفسرين ، فيكون ذلك مرتبطا بخطأ البعض فى آيات القرآن الكريم تفسيرا أو إعرابا، بحيث يفضى التحليل إلى كفر أو جهل واضح بكتاب الله ، فإن حدة الحوار تعلو فى هذه الحالة؛ دفاعا عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم ، وليست تلك الحدة بسبب شخصى، ومن ذلك مانجده عند الباقولى فى بعض تعليقاته مثل : وهذا جهل منهم ، وهذا الكلام يخشى عليه من الكفر ، وخفى عليهم ، وهذا تعسف ... الخ ، إن الحدة هنا ليست من منطلق شخصى، بل هي دفاع عن كتاب الله، ولهذا ارتفعت حدة الحوار .

مسوغات التسامح عند النحويين

تم رصد مسوغات التسامح من خلال تأمل الدراسات النحوية وأقوال النحاة ومسلكهم مع اللغة في المنع والتجويز، ومن هذه المسوغات التي كانت سببا في تسامح النحويين مع القواعد مايلي :

1- الميل إلى الإيجاز والاختصار، حيث يعطى اللغة مندوحة من التسامح ، فاللغة تبيح حذف أحد عنصري الجملة الاسمية أو الفعلية ، وربما حذف الجملة كاملة ، وذلك في مواضع كثيرة ، وذلك عندما لايؤدى حدوث الحذف إلى خلل لفظي أو معنوي.
2- كذلك وضوح المعنى ، حيث يسمح للمتحدث استخدام المجاز بدلا من الحقيقة ، إذ يكفي أن الشريف الجرجاني عرف التسامح بأنه استعمال اللفظ في غير الحقيقة اعتمادا على ظهور المعنى وفهم الكلام 59
3- أن يكون هناك فرصة لتأويل المسألة المتسامح فيها .
4- إمكانية أن يكون للمسألة وجه من وجوه الصواب .

وكذلك نستطيع لمح مسوغات أخرى ، مثل : التغليب – مراعاة الأصل – تيسير المادة النحوية المعروضة – الذيوع والانتشار – ضيق النظم وضرورة الوزن 60

أثر ثقافة التسامح

بشكل عام، تؤدي ثقافة التسامح إلى نتائج إيجابية فور تجسيدها ، ولو تأملنا النتائج على المستوى اللغوي، فإننا نرى أن ثقافة التسامح لدى النحويين قد نتج عنها مجموعة من الملامح، تظهر مع اللغة وقواعدها ، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية التأويل أو التوجيه النحوي لهذه المسائل المتسامح فيها أو في معظمها ، و تظهر هذه النتائج فيما يلي :

أ- توسيع القواعد النحوية ، لعدم رفضها تسامحا.

ب- تيسير النحو ، فالتسامح قد أنتج كثيرا من مظاهر التيسير النحوي.

ج- تنوع وجوه الإعراب د- زيادة بعض التراكيب. .

أما عن أثر ثقافة التسامح على الجوانب الإنسانية بشكل عام فإننا نرى أن التسامح جسد مجموعة من المظاهر تشكلت فيما يلي :

أ-يقلل من المشكلات بين الناس. ب- يساعد المسيء على التعجيل بالاعتذار ، فعند يتسامح شخص مع غيره، فيمكن أن يسهم ذلك في إحساس المخطئ بالذنب، فيعترف بخطئه ويعتذر.

ج- يمنع الضرر و العداوات.

يقول الإمام الشافعي

لما غفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحيّ عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أُبغضُه كما إن حشا قلبي محبات

الناس داء وداء الناس قربهم وفي اعتزالهم قطع المودات 61

د-يبقى على الصداقات

قال تعالى وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم [سورة: فصلت، الآية: 34]

وقال الشاعر : وكنت إذا الصديق أراد غيظي وأشرقني على ظمأ بِرِيقِ

غفرت ذنوبه وكظمت غيظي مخافة أن أعيش بلا صديق 62 [1]

والمعنى (أشرقه بريقه أي ألزمه الحجة وتغلب عليه)

خاتمة البحث

يؤكد البحث في النهاية أن التسامح كان مجسدا في التراث العربي بشكل عام، وفي التراث النحوي بشكل خاص، وأن ثقافة التسامح كانت ضمن أهم مظاهر الثقافات المتنوعة في الحضارة العربية، مما يؤكد أن الحضارة العربية كانت متسامحة، و أن ثقافة التسامح كانت ضمن الأصول المرعية في الثقافة العربية، حتى في حالات الخلافات الشديدة المتمثلة في القضايا النحوية والفقهية، وغير ذلك من القضايا المختلفة، مما يجعلنا نحن العرب فخورين بثقافتناوعروبتنا، فقد ساعد ذلك على تجسيد الأمن المجتمعي من خلال التسامح الذي كان يؤمن به الكثيرون .

ويوصي البحث بضرورة تأليف كتاب علمي عن ثقافة التسامح ومنهجيته وآثاره ليصير مادة علمية مقررة على طلاب المدارس والجامعات، فيساعد ذلك على تهذيب النفوس ورقيها، وهذا يساعد على تحقيق الأمن المجتمعي وتجسيد روح المودة بين الناس وتقليل الفجوات والخلافات، في وقت نحن في أمس الحاجة إلى ذلك.

الهوامش والمصادر والمراجع

1 - (مقال : الثقافة العربية بين التقديس والإقصاء ، فاطمة الشيدي ، الرابط على الشبكة العنكبوتية
https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

2 -القاموس المحيط- الفيروزآبادي – مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة 2005 م مادة (سمح)

3 - الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطا - دار العلم للملايين- لبنان- 1990م - مادة (سمح)

4 - لسان العرب لابن منظور- دار صادر – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ مادة : (سمح)

5- معجم مقاييس اللغة - تحقيق وضبط عبد السلام هارون - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - 1979 م - مادة (سمح)

6 - لسان العرب لابن منظور مادة : (سمح)

7- معجم اللغة العربية المعاصرة- أحمد مختار عمر 1104-1105 - عالم الكتب - ط 1- 2008 م - 3/ 2439

8 - معجم اللغة العربية المعاصرة - أحمد مختار عمر 3/ 2439

9- الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - لأبي البقاء الكفوي - أعده للطباعة ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة- ط 2 - 1419 هـ - 1998 م
وانظر : معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية للدكتور محمد إبراهيم عبادة – مكتبة الآداب – القاهرة 2011 م ص 297

10 - معجم التعريفات- على بن محمد الشريف الجرجاني- تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي – دار الفضيلة – القاهرة -د ت - ص 51

11 - الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - الكفوي : ص 294

12 - (قضايا في الفكر المعاصر - محمد عابد الجابري -مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت - 1997 - ط 1 ص 20

13- مفهوم التسامح- خالد أبو العينين - جريدة الشرق - 8 سبتمبر 2016 م -الرابط على الشبكة العنكبوتية https://al-sharq.com/opinion/08/09/2016/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD

14- التراث وسؤال التسامح- محمد أركون – محمد عابد الجابري – علي أومليل – إبراهيم أعراب

الرابط على الإنترنت https://www.aljabriabed.net/n28_03aarab.(2).htm

15 - التراث وسؤال التسامح – إبراهيم أعراب-

الرابط على الإنترنت https://www.aljabriabed.net/n28_03aarab.(2).htm

16- : التراث وسؤال التسامح – إبراهيم أعراب-

الرابط على الإنترنت https://www.aljabriabed.net/n28_03aarab.(2).htm

17- - المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير – عبد الحميد محمد أمين الورد - المكتبة العصرية – بغداد 1997 - صفحة 11

18- الانتصار لسيبويه على المبرد - ابن ولاد التميمي – تحقيق زهير عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – بيروت ط1 – 1416هـ – 1996 م - صفحة 73

وانظر : شرح كتاب سيبويه – أبو سعيد السيرافي - تحقيق أحمد حسن مهدلي و على سيد علي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1429 هـ – 2008 م - 3 / 300

19- 20 - سر صناعة الإعراب لابن جني – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1421هـ – 2000 م 1/ 160

21 - المنصف لابن جني – شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني – دار إحياء التراث القديم – ط 1 1373 هـ – 1954 م ص 198

22 - درة الغواص في أوهام الخواص- للحريري - تحقيق عرفات مطرجي – مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت – ط1 – 1418 هـ – 1998 م - ص 248

23 - ظاهرة التسامح في التراث النحوي – معالمها ومسوغاتها - سيد جمال على - حولية كلية اللغة العربية- بنين بجرجا - العدد الرابع والعشرون- للعام 1332 هـ - 2020 م - الجزء الثاني عشر - صفحة 12197

24 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- ابن هشام الأنصاري - تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب السلسة التراثية – ط 1 الكويت – 2000 م 2 /315-316

25- خزانه الأدب ولب لباب لسان العرب- لعبد القادر البغدادي- تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب- دار الكتب العلمية-بيروت -الطبعة الأولى- 1998م –ج9 –ص133./ وانظر :جمهرة اللغة - لابن دريد- تحقيق: رمزي منير بعلبكي- دار دار العلم للملايين -بيروت الطبعة الأولى- 1987 م-ج2- ص816

26 - الكتاب - سيبويه -تحقيق عبد السلام هارون – الخانجي – القاهرة- ط 3 – 1408 هـ – 1988م - 1/ 417

27 - انظر الرابط: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura68-aya40.html

28 - معجم مقاييس اللغة - 3/ 10 - كتاب التعريفات 152 - دستور العلماء= جامع العلوم في اصطلاحات الفنون- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري- دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - 2/ 110

29 - انظر الرابط https://almerja.net/reading.php?i=5&ida=10&id=1&idm=15495

30 - شرح تسهيل الفوائد – لابن مالك الطائي – تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون – ط1- هجر للطباعة والنشر والتوزيع – 1410 هـ -1990 م - 2 / 271

31 - تسامح العربية اللغوي مع ذاتها ، مثل من الفصحى والعامية والمدارس النحوية والقراءات القرآنية - د لؤي عمر بدران- مجلة اللغة العربية وآدابها - جامعة الكوفة - العدد 35 -ذو القعدة 1334 هـ -حزيران م - صفحة 77

32- المحاكمات النحوية – دراسة تاريخية منهجية نحوية – إيهاب محمد عبد الله عرقات- رسالة دكتوراه - بكلية الآداب جامعة عين شمس - عام 2014-2015 - ص 51

33 - السابق نفسه

34 - المؤلف: شريف الشوباشي – نشر مؤسسة هندي - القاهرة - 2017 م

35 - لتحيا اللغة العربية – يسقط سيبويه - ص 10

36- ألفية ابن مالك في النحو والصرف - محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني الأندلسي ، أبو عبد الله، جمال الدين - طبعة دار التعاون - د ت - ص 73

37 - المقاصد الشاطبية في شرح الخلاصة الكافية -للإمام أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي - تحقيق محمد إبراهيم البنا - ط 1 - 2007 م - معهد البحوث العلمية – مركز إحياء التراث - جامعة أم القرى – السعودية - 8/ 219-220

38 - الإنصاف في مسائل الخلاف - لأبي بركات الأنباري - تحقيق جودة مبروك - مراجعة رمضان عبد التواب - الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 1 - 2002 م - مقدمة الكتاب – صفحة 3

39- أسباب اختلاف النحاة من خلال كتاب الإنصاف لابن الأنباري - نورى حسن حامد المسلاتي - دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة 2005 م - ص 24))

40 - المقتضب للمبرد -تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - عالم الكتب - بيروت- د ت - المقدمة - ص 31

41- هذا التقسيم يختلف عن التمثيل الوارد في بحث : ظاهرة التسامح في التراث النحوي – معالمها ومسوغاتها - سيد جمال على - حولية كلية اللغة العربية -بنين -بجرجا - العدد الرابع والعشرون للعام 1332 هـ 2020 م - الجزء الثاني عشر صفحة 12200

42 - - كتاب الجمل في النحو – للزجاجي- تحقيق الدكتور على توفيق الحمد – مؤسسة الرسالة – لبنان – دار الأمل – الأردن- ط 1 -1404هـ -1984 م - ص 1

43 - نتائج الفكر- للسهيلي – دار الكتب العلمية –بيروت –ط 1 - 1412 هـ 1992م -ص 50

44- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك- تأليف ابن الناظم – تحقيق باسل عيون السود – منشورات محمد على بيضون – دار الكتب العلمية – لبنان – ط 1 - 1420 هـ – 2000 م - ص 450

45 - الموفّقي في النحو لابن كيسان - تحقيق عبد الحسين الفتلي وهاشم طه شلاش – مجلة المورد – دار الحرية للطباعة – بغداد – المجلد الرابع – العدد الثاني – 1359 هـ – 1975 م - ص 10

46 - المنصف لابن جني – شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني – دار إحياء التراث القديم – ط 1 1373 هـ – 1954 م ص 198

47 - المنصف لابن جني – شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني– دار إحياء التراث القديم – ط 1 1373 هـ – 1954م ص 198

48 - كتاب الجمل في النحو للزجاجي - تحقيق الدكتور على توفيق الحمد – مؤسسة الرسالة – لبنان – دار الأمل – الأردن ط 1 1404هـ -1984 م - ص 24- 25

49 - شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام - تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد –القاهرة - ط 11 - 1383 هـ - ص 309

50 - انظر : الكتاب - سيبويه -تحقيق عبد السلام هارون – الخانجي – القاهرة- ط 3 – 1408 هـ – 1988م 53/1-138- 2/ 135 ، معاني القرآن – أبو زكريا لفراء - تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين – الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة – 1982 م ط2 - 1/ 116 - 193 ، معاني القرآن للأخفش- تحقيق هدى محمد قراعة - مكتبة الخانجي – القاهرة – ط 2 1432- هـ 2010 م - 1/ 316 ، المقتضب 208/1 - 3/ 96

51 - الخصائص لابن جني 1/ 318 - 3/ 56 ، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه – تحقيق عبد العال سالم مكرم – دار الشروق - القاهرة - بيروت ط4 1401 هـ 5/ 454

52 - الكتاب 1/ 54 -81 - 3/ 144- 157 – 4/ 445 ، معاني القرآن للفراء 1/ 193 -325 ، معاني القرآن للأخفش 1/ 118 -285 ، المقتضب 310/3 – 349

53 - الكتاب 124/2 معاني القرآن للفراء 1/ 176 الأصول في النحو - أبو بكر بن سهل النحوي - تحقيق محمد عاطف – دار السلام ط1 1493 هـ – 2018 م - 1/ 123

54 - الكتاب 377/3 معاني القرآن للفراء 1/ 241- 198/3

55-- الكتاب 1/ 107- 180 - 125 252 ، 2/ 128 – 317 معاني القرآن للفراء 1/ 449 المقتضب 2/ 185 – 3/ 14 138 الأصول 1/ 95

56 - المقتضب 2 2/ 173

57 - المقتضب 2/ 173 - 175

58 - إعراب القرآن - علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي – تحقيق إبراهيم الإبياري - الناشر: دارالكتاب المصري – القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت - ط 4 - ١٤٢٠ هـ

59- معجم التعريفات على بن محمد الشريف الجرجاني تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي – دار الفضيلة – القاهرة د ت ص 51 وانظر : الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي -أعده للطباعة ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة -ط 2 - 1419 هـ - 1998 م - ص 294

60 -انظر بعض التفصيلات عن مسوغات التسامح في بحث : ظاهرة التسامح في التراث النحوي -معالمها ومسوغاتها - سيد جمال حسن علي - مجلة كلية الآداب -جامعة الأزهر- حوليات كلية اللغة العربية - بنين- جرجا - العدد الرابع والعشرون - عام 2020 م -الجزء الثاني عشر - ص 12233 - وقد قصد بالتسامح هنا التسامح مع القواعد فقط، وإن كنت أجد أن بعض المسوغات المشار إليها قد احتوت على نماذج لم يحكم النحويون عليها بالتسامح ، وإنما اجتهد الباحث- وهو اجتهاد مسموح له- في فهم التسامح ، وإن لم يُنص عليه صراحة في كثير من المسائل .

61 - ديوان الإمام الشافعي - للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - جمع وشرح نعيم زرزور- تقديم مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - لبنان - 1984 م - ص 39

62 - المستطرف في كل فن مستظرف - الأبشيهي - طبعة دار الحديث – القاهرة -عام 2000 - ص 171